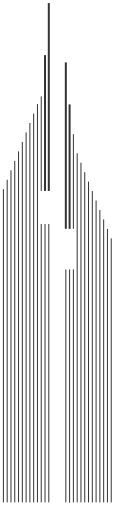

حظ العربية.. في شهر القرآن

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م

الإخراج الفني
حسن عبد القادر العزاني

دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي
إدارة البحوث

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١+ فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١+
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
mail@iacad.gov.ae www.iacad.gov.ae

دائـــرة الشـــؤون الإســـلامية والعمـــل الخيـــري
Islamic Affairs & Charitable Activities Department

حكومة دبي
GOVERNMENT OF DUBAI

إصدارات مشروع حماية اللغة العربية (٢)

حظ العربية.. في شهر القرآن

تأليف
شـــروق مـحـمـد سـلـمـان
مدققة لغوية أولى بإدارة البحـــوث

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومَنْ تبعهم بإحسان إلى يوم الدين..

وبعد: فيسر « **دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي - إدارة البحوث** » أن تقدِّم إصدارَها الجديد « **حظ العربية.. في شهر القرآن** » لجمهور القراء من السادة الباحثين والمثقفين والمتطلعين إلى المعرفة.

وتأتي هذه الرسالة مع مناسبة عظيمة القدر، هي شهر رمضان المبارك، وهو شهر القرآن كما قال عز وجل: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة:١٨٥]، **ولما كان القرآن قد نزل بلسان عربي مبين فقد وجب التنبيه على فضل إتقان العربية لأنها مفتاح فهم كتاب الله وتدبره، ليفسح المؤمنون لها مجالا في حياتهم لا سيما مع قدوم الشهر المعظم ليؤدوا واحدة من الشعائر الجليلة وهي التفكر والتدبر: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾**[النساء:٨٢].

وهذا الإنجاز العلمي يجعلنا نقدم عظيم الشكر والدعاء **لأسرة آل مكتوم** حفظها الله تعالى التي تحب العلم وأهله، وتؤازر قضايا الإسلام والعروبة بكل تميز وإقدام، وفي مقدمتها **صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد بن سعيد آل مكتوم**، نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي الذي يشيد مجتمع المعرفة، ويرعى البحث العلمي ويشجع أصحابه وطُلابه .

راجين من العلي القدير أن ينفع بهذا العمل، وأن يرزقنا التوفيق والسداد، وأن يوفق إلى مزيد من العطاء على درب التميز المنشود.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على النَّبي الأمي الخاتم سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مدير إدارة البحوث

الدكتور سيف بن راشد الجابري

القرآن واللسان العربي

* ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[يوسف:٢].

* ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ [الرعد:٣٧].

* ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل:١٠٣].

* ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ [طه:١١٣].

* ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٥].

* ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٢٧-٢٨].

* ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ [فصلت:٣].

* ﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَأَعۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴾ [فصلت:٤٤].

* ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الشورى:٧].

* ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [الزخرف:٣].

* ﴿ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٞ مُّصَدِّقٞ لِّسَانًا عَرَبِيّٗا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [الأحقاف:١٢].

* * *

المقدمة

الحمد لله الذي جعل رمضان أفضل الشهور، وخصه بالتشريف على مر الدهور، الحمد لله الذي أنزل القرآن هداية للعالمين، وجعله شفاء للمؤمنين، وهدى للمتفكرين، وجعل لسانه اللسانَ العربي المبين، وصيّره سبيلا إلى التعقل إلى يوم الدين.

والصلاة والسلام على رسوله المصطفى، النبي المجتبى، أفصح ناطق بالضاد، وخيرة بني عدنان، الذى تلقى القرآن نوراً وضياء ورحمة للخلق أجمعين.

وبعد: فهذه كلمة جالت في الذهن، وماجت في القلب، وأبت إلا أن يدفعها مداد القلم إلى الورق لتصافحها أعين القارئين، ناطقة بوضع مزرٍ آل إليه حال لغة القرآن بين أهليها، داعية إلى استعادة هيبة

لسان القرآن، واتخاذه سبيلاً للتقرب إلى الله بغية التدبر في كتابه، والتفكر في آياته.

وقد كانت الكلمة نتاج موقف رأيته فدونته كما حدث، وأتبعته بخواطري التي أرجو ألا تثقل على القراء.

أترككم معها سائلة الله القبول والتوفيق.

والحمد لله رب العالمين.

❊ ❊ ❊

حظ العربية.. في شهر القرآن

كلمة ودمعة:

مررت بأحدهم وهو يقول: سمعت أغنية للمطربة (فلانة) عن القدس فأدمعت عينيّ، ومعه أخته تقول: شاهدت المسلسل الفلاني فأبكاني موقف الاعتذار، والسماحة التي أبداها المجني عليه.

قلت في نفسي: جميل أن يكون للمرء نفس حساسة تشعر بقضايا الأمة، وتتفاعل مع المواقف التي تتجلى فيها الأخلاق الرفيعة في أبهى صورها فتأسر القلوب.

ثم سألت هذا وتلك: هل تبكي عند قراءة القرآن أو سماعه؟

أطرقا حياء وقد بدا الخجل على محياهما.

قلتُ: ما الذي جعلكما تبكيان مع القصيدة والمسلسل؟

قالا: تأثرنا بالموضوع الذي يعبر عنه، والذي يمثل أمرا يهمنا أو مشكلة تؤرقنا كالقدس، أو يحمل موقفا مثاليا قلّ أن يرى المرء مثله.

قلت: أفلا تبكيان إن ذكرتما الجنة أو النار؟

صمتّ لحظات أعطيهما فرصة التفكير ثم تابعت: إن أبكاكما موقف الرحمة والتسامح من العباد وهذا أمر حسن يدل على رقة النفس وجمال الخلق ألا تبكيكما رحمة الله وسعة مغفرته، وتكراره الوعد بالنعيم والرضوان، وبسطه الأمل بالتوبة، وتفضله على عباده بالغفرانِ ومنحِهم الجنة وهو الذي خلقهم وأنعم عليهم وعصوه - ولا يخلو من ذلك أحد - ثم غفر لهم ؟

وما الذي فعلوه ؟ وماذا قدموا لينالوا جنته ورضاه ؟ أهو الالتزام بالطاعات ؟ وإن التزموا فماذا تكون طاعاتنا مهما بلغت أمام نِعَم الله عز وجل وهو خالقنا ورازقنا ومالك أمرنا ؟

أين الدمعة مع القرآن ؟

بقيا على صمتهما فتابعت: ألا يبكيكما ذكر القرآن للمسجد الأقصى تكريماً وتشريفاً بالإسراء، وبركةً له ولما حوله؟ ألا تتأثران بوعد الله بالنصر على المفسدين ودعوته المسلمين إلى نصرة الحق لينالوا النصر المأمول ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ [محمد:٧] كما أبكتكما أغنيةٌ حول القضية نفسها؟

أطرقا خجلاً مرة أخرى ثم قال هو على استحياء: ما نشعر بهذي المعاني عند قراءة القرآن.

وأضافت هي بصوت متعثر: والذهن يشرد عند التلاوة .

لمعت عيناي انتصاراً لأني خمنت السبب قبل أن ينطقا، ثم لمعتا بترقرق الدمع فيهما حزنا على سوء أحوالنا، ومضيت أفكر: ترى ما السبب في هذه الحال التي نحن فيها؟ لن أتحدث عن الرين الذي يغطي القلب فيغشيه، ولا عن الشيطان وهو يسوق العقل في مراتع الدنيا في تلك اللحظات، ولكني سأتحدث عن سبب آخر مهم لعلنا إن عرفناه وجاهدنا أنفسنا عليه وعرف الله صدقنا فيه أن يفتح قلوبنا لنور القرآن.

أفكار وخواطر:

وقبل هذا أبدأ بالتساؤل: ترى لو كنا نحب ما نقرأ فهل كان ذهننا سيشرد أثناء قراءته؟ ولو كنا نحب صاحب الكلام هل كنا سنغفل عن كلامه؟

فإن ادعينا وجود هذا وذاك فما السبب الذي يجعلنا لا نشعر بمرور هذه المعاني علينا ولا نتفاعل معها أو نتأثر بها ؟

هل يتحدث القرآن في موضوعات بعيدة عن حياتنا واهتماماتنا ؟ أو عن قضايا لا تناسبنا ولا تعنى بمشكلاتنا ؟ أو أنه يخاطب أناسا آخرين غيرَنا ولا ندخل نحن ضمن الفئة التي يوجه الحديث إليها أو يتكلم عنها ؟

السبب المتبادر للذهن عند إحسان الظن ونفي الاحتمالات السيئة هو عدم فهم ما نقرأ، فلو أننا فهمنا لأحسسنا ولتفاعلنا، لكن الجهل يقف مانعا من ذاك، وهؤلاء قد فهموا الكلام الذي قيل هناك - الأغنية والمسلسل - فتأثروا !

إن كلمات القرآن وآياته إذا تليت على جبل لخشع من خشية الله، لكننا نقرأ ولا نتأثر إلا من رحم الله! ألم يقل الله عز وجل: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر:٢١].

وقال الشاعر[١]:

في نورِكَ الفيَّاضِ آياتٌ، إذا تُلِيَتْ على الجبلِ الأَصَمِّ تأثَّرا

البُعد عن العربية الفصحى، وآثاره:

إن الجهل الذي أقصده ليس عدم معرفة القراءة والكتابة لكنه البعد عن العربية الفصحى، وعدم التفاعل مع كلماتها، وعدم إدراك معانيها لأننا اعتدنا اللهجات العامية، واعتدنا اللغات الأخرى فصارت

(١) عبد الرحمن العشماوي، في قصيدة ألقاها عند افتتاح أحد مؤتمرات الإعجاز العلمي للقرآن .

ذات السيادة في حياتنا! واللغة التي يعتادها المرء ويتمرس فيها تصبح هي لغة تفكيره وحياته، وأما غيرها فيغدو هامشياً .

والقرآنُ كلماتٌ وحروفٌ ومعانٍ، والكلامُ يقال ويقرأ باللسان، واللسانُ مصطلحٌ يطلق على اللغة، ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل:١٠٣].

فإن لم نكن نفهم اللغة التي يحدثنا بها الله تعالى، فكيف سنمتثل لما يريد؟ وكيف نتدبر كلماته ونتفكر في معانيها، و نستشعر إعجازها و سحر بيانها؟

ولله المثل الأعلى أقول: هذا أمر بدهي أننا إن لم نكن نفهم اللغة التي يكلمنا بها فلان أو التي كتب بها فلان كتابه أو رسالته فهل سنفهم منه ما أراد؟

وعدم الفهم لا يعني الجهل التام بلغة جديدة

فحسب بل يشمل عدم التمرس في اللغة الأم إلى حد يجعلها غريبة على الآذان والقلوب فينتج عنها عدم تذوق ما كُتب بها كما أشرت آنفا.

العلاقة بين القرآن الكريم واللغة العربية:

فعلاقة القرآن باللغة علاقة وثيقة، وكلما زاد قربنا من اللغة العربية زاد إحساسنا بها وتذوقنا لمعانيها، وإدراكنا لأسرارها، فإن غابت عنا تلك المعاني عند قراءة القرآن فلجهلنا باللغة التي أنزل بها، وحينها لا نلوم إلا أنفسنا المقصرة.

وقد قال الطبري: إني لأعجب ممن يقرأ القرآن كيف يلتذ بتلاوته ولم يفهم معناه؟

فالسبيل الأول إذن لفهم القرآن بعد جمع الفكر وتركيز العقل يبدأ من أبواب اللغة، فلو فهمناها

لفهمنا تلك المعاني عند ورودها إلينا، ولم نكن نمر على الآيات ونحن غافلون، أو تتلفظ بها شفاهنا ونحن في عالم آخر سائحون!

لا أقصد بمعرفة اللغة معرفة أغوارها وكل مفرداتها وقواعدها، ولا أقصد فهم دقائق القرآن، ولا إدراك مراده ومعرفة مقاصده كلها أو تلمس حِكَمه والوقوف على أسراره، ولكني أقصد الفهم الميسر من مدلول اللفظ القرآني، فهو الذي ينبغي أن يكون مفتاحنا الأول لولوجِ عالمِ القرآن وفهمِهِ، ومن ثَمَّ تدبره.

واللغة العربية أيضاً مهمة لنفهم كتب التفسير التي تفسر لنا القرآن، لأن الفهم السليم كما تقدم هو أساس الفهم لكل ما نقرأ .

وقد قال ابنُ عباس: « التفسير على أربعة أوجه.. وجهٍ تعرفه العربُ من كلامها، وتفسيرٍ لا يعذر أحدٌ بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسيرٍ لا يعلمه إلا الله »[1]، وجزء كبير من القرآن هو من القسمين الأولين.

هل يجوز للمسلم أن يقرأ هذه الكلمات ولا يفهم معانيها؟ « لا ريب فيه - الصمد - الفلق - لا تزغ قلوبنا - تبلى السرائر - غاسق إذا وقب - أجر غير ممنون - قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها »؟[2]

---

(١) انظر: تفسير الطبري - تحقيق أحمد شاكر - ١/ ٧٥ .

(٢) من أيسر الكتب وأكثرها شهرة في مجال تقديم المعنى المباشر لكلمات القرآن كتاب «كلمات القرآن تفسير وبيان» لمؤلفه محمد حسنين مخلوف، وهذا الكتاب هو أقل ما يرجع إليه المسلم لمعرفة معاني الكلمات، لكنه لا يعطينا المعنى العام للآيات .

هـل يجـوز أن نسـمع كلـمات القارعـة والطامـة والصاخة دون أن نستشـعر شيئا مما كان يقع في نفوس المشركـين - الذيـن تنـزل في عصرهـم - مـن الهيبـة لإحساسـهم بهذه الكلمات جرْسـا ومعنـى؟ هل يجوز أن يفهـم ذلـك الكافـر مـراد الله حـين يقـول زاجرا: « كلا.. » في بعـض آيات الكتاب، ونمر نحن بالكلمة مـرورا عابرا دون أن تثير فينا شـيئا ممـا أثارته في نفس ذلك الرجل من الهيبة والخوف والزجر؟ وأنى للقارئ أن يخشع حينها أو يتدبر أو يرتدع عن غي أو يهتدي إلى صواب ؟

* * *

أوجه الحاجة إلى اللغة العربية:

إن قراءة القرآن تتطلب معرفة لغته وإتقانها قراءة وفهما، فاللغة لا تنفك عن القرآن، فهي الوعاء الحامل لكلمات الله، وهي مفتاحُ قراءته وسبيلُ تدبرِهِ وفهمِهِ ومن ثَمَّ العمل به.

وحاجتنا للغة العربية عند تلاوة القرآن حاجة عظيمة تتنوع وجوهها وتتعدد مواضعها، فنحن نحتاج إلى لغة صحيحة لقراءة القرآن قراءة صحيحة، والقراءة الصحيحة تعني أمرين:

أما الأول فهو نطق الكلمات التي لا بد أن تخرج من مخارجها الصحيحة على وفق طبيعة الحروف وصفاتها، ومراعاة الأحكام الناتجة عن اجتماع هذه الحروف بترتيب معين، فهنا الإدغام وهناك الإخفاء،

وهذا هو الإقلاب وتلك القلقلة وغيرها من الأحكام التي اهتم بها علم التجويد.

وأما الأمر الثاني الـذي تقتضيه القراءة الصحيحة فهـو تجنّبُ اللحْـنِ - واللحن هو الخطـأ في القراءة-، والتـزامُ الضبـط السـليم للكلـمات صرفيـا ونحويـا، وتجنُـب الخطـأ في ذلـك، فإنـه يوقـع في أمـر عظيـم يقلـب المعـاني المـرادة أو يشـوهها، وهـو إلى جانـب هـذا خطـأ في نطـق كلام الله عـز وجـل، والخطـأ في كلام الله مرفوض قطعاً .

وقـد كان الأصمعـي يقـول عـن الخطـأ في الحديـث: أخـوف مـا أخـاف عـلى طالـب العلـم إذا لم يعـرف النحـو أن يدخـل في جملـة قولـه ﷺ:

« **من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار** »
لأنه ﷺ لم يكن يلحن، فمهما رويت عنه ولحنت فقد كذبت [1].

ومن الحوادث التي أنذرت بالخطر وكانت ناتجة عن تغيير حركة واحدة في القراءة أدت إلى قلب المعنى ما روي من أن أعرابيا قدم إلى المدينة المنورة في عصر عمر بن الخطاب، فسمع رجلا يقرأ قول الله تعالى من سورة التوبة: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٣] بجر كلمة الرسول، فصار المعنى كأن القارئ يقول: إن الله بريء من المشركين ومن الرسول! فقال الأعرابي مبديا الدهشة ومعلما لمن لا يعلم في آن واحد: أو قد بَرِئ الله من رسوله؟ إن يكن الله بَرِئ

(١) تدريب الراوي ٢/ ١٦١ .

من رسـوله فأنا أبرأ منه! فبلغ خـبره عمر بن الخطاب فاسـتدعاه وسأله، فأخبره بما سـمع، فقال عمر: ليس هكـذا يا أعرابي. قال: كيف هي؟ قال: « أن الله بريء مـن المشركين ورسـولُه » برفـع كلمة الرسـول. فقال الأعرابي: وأنا والله أبرأ مما برئ اللهُ ورسـولُه منه. فأمر عمر ألا يقرئ القرآن إلا عالم بلغة العرب[1].

إن تـلاوة القرآن عبادة نرجـو أجرها، فهل نؤدي العبادة أداء خاطئا ثم ننتظر قبولها ؟

نعـم .. نطمـع في قبولها من الله عـز وجل الرحيم بنا، العالم بسوء أوضاعنا واعوجاج ألسنتنا، ولكن هل قدمنـا عَذراً يلقى قبولاً؟ هل جاهدنا لفهم كتابه؟ هل اجتهدنا في تعلم لغته؟

---

(١) انظر: سبب وضع علم العربية ونزهة الألباء لابن الأنباري .

اللغة العربية مفتاح التدبر:

تلك إذن هي المرحلة الأولى لحاجتنا إلى اللغة عند قراءة القرآن، فلننتقل إلى المرحلة الثانية وهي مهمة جدا، وقد دعا إليها الله عز وجل في كثير من آياته وقال عز وجل: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩].

فكأن الآية الأخيرة تقول إن غاية إنزال القرآن هي تدبر الآيات، فما مفتاح هذا التدبر؟ وما سبيل فهم الأمثال التي جاءت في القرآن بأساليب بليغة رفيعة؟ وما وسيلة استيعاب القصص التي ذكرت فيه والاتعاظ بحوادثها؟

إن مفتاح ذلك هو اللغة العربية، فبمعرفتها نتلقى

المعنى العام الذي تقصده الآيات، وندرك لطائفه وإشاراته ونفقه الحِكم التي تؤخذ منه، وباللغة العربية نفهم تكرار مقاصد الآيات وأسرار البيان وحكم التعبير القرآني، ونفهم سر آياته المتشابهات ونفطن إلى مواضع اختلاف التفسيرات وندرك أسبابها بتوفيق الله عز وجل، فينطلق لساننا بالتسبيح لقائل هذا الكلام المعجز في كل لفظة، المتقن في كل حرف، محلقين في آفاقه الرحبة بجناحي التدبر والخشوع ليؤتي ذلك التسبيح أُكُله: إجلالاً في القلب، والتزاما في الجوارح، ويصل المرء إلى تذوق حلاوة الالتزام الصادق والإيمان الراسخ.

* * *

من أقفال القلوب:

وقد قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد:٢٤]، وقد يكون - والله أعلم - تقصيرنا في فهم العربية من تلك الأقفال التي تمنع القلوب من التدبر المطلوب إذ تقف حاجزا كبيرا يعيق الفهم ويحرم لذة القراءة وجمال التأمل وحلاوة التعامل مع الآيات الباهرة التي تقود إلى حب عميق لله عز وجل ولرسوله ﷺ.

فيمكن أن تكون اللغة مفتاحاً من مفاتيح تلك الأقفال، فلندرسها ولنفهمها حتى تصير حساً في وجداننا ومعنى في شعورنا.

لماذا نحرم أنفسنا من تلك اللحظات الباهرة حين تتجلى للقلب والعقل بعض معاني كتاب الله التي كنا

نحسبها غامضة.. مستعصية على الفهم، فإذ بها تتكشّف له، و يستنبطها بفهمه، وبما أفاد من علم العلماء. هنا فقط يستطيع أن يتلذذ بالقرآن.. و يتدبّره؛ لأنه ينفعل بآياته ومقاصدها؛ فتسعد به القلوب وتستمتع العقول وتخشع النفوس فتكون تلك اللحظات واحات غناء يُستظل بها في هجير هذه الدنيا المضطربة.

آيات ومعان:

كم قارئاً يلحظ ذلك التجدد والاستمرار في استعمال الفعل المضارع في قوله عز وجل: ﴿ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[البقرة:٢١٣] فيستحثه ذلك على تكرار طلب الهداية دوما وتجديد الثقة في توفيق الله له؟

وهل ندرك معنى التوحيد الخالص والعبودية الخالصة في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] بتقديم الضمير على الفعل دون أن يقول: (نعبدك ونستعينك) لما فيها من احتمال أن تتوجه العبودية والاستعانة إليه جل وعلا وإلى غيره؟ هل نشعر بذلك التخصيص بالعبودية والاستعانة لله الواحد الأحد؟ هل نشعر بالتوجه الخاشع إليه وأنه لا رب لنا سواه؟ هل تدفعنا تلك الآية إلى السكينة والطمأنينة ونحن نتلوها في صلاتنا؟ هل تحفظ ذهننا من أن يسرح هنا أو هناك هل تغرس فينا الاعتماد الراسخ واليقين العميق بالله تعالى الذي هو وحده يستعان به وهو وحده القادر على دفع الضر؟

من يلاحظ مثلا ذلك الاتساع في قول الله عز

وجل: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا ﴾ [التوبة:٨٢]؟ لقد حُذف المفعول المطلق وبقيت صفته (كثيرا) وفي حذفه جمع لمعان، فقد يكون التقدير (فليضحكوا ضحكا قليلا وليبكوا بكاء كثيرا)، وقد يكون (فليضحكوا زمنا قليلا وليبكوا زمنا كثيرا)، ومع الحذف يبقى الاحتمال لهذا وذاك، فيجمع المعنيين ويختصر في اللفظ.. وهكذا هي آيات الكتاب العزيز، تحمل المعاني الغزيرة في الألفاظ اليسيرة.

وهل ترانا نلحظ ورود اللام في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الشورى:٤٣]، واختفاءها من قوله: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [لقمان:١٧]؟ وهل نتذوق من فهمنا للآيات سبب ذلك؟ هل نشعر بشدة التوكيد في الآية

الأولى؟ وهل نشعر بتوافق هذه الشدة مع صعوبة الأمر المطلوب (الصبر والمغفرة لمن أساء)؟ فالإنسان قد يقوى على الصبر على المصائب التي تناله، لكن يقل صبره أمام المصائب التي يسببها له إنسان مثله وهو قادر على الانتقام منه، فترشده الآية إلى اقتران الصبر بالمغفرة وهي تعرف مشقته على النفس الإنسانية الضعيفة لذلك تزيد التوكيد فتقول «إن ذلك لمن عزم الأمور».

وفي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٤٠] نصبت « كلمة الذين كفروا » على أنها مفعول أول للفعل جعل، ورُفعت « كلمة الله » على أنها مبتدأ، ولم تُنصب عطفاً على

« كلمة الذين كفروا » لئلا يوهم الكلامُ أن « كلمة الله » كانت سفلى، فصارت بعد الهجرة عليا .

فهذا غير صحيح لأن « كلمة الله » هي العليا دوماً، وهو ما يناسبه استعمال الجملة الاسمية التي تستهل بالمبتدأ، وتدل على الثبوت والدوام.

أما « كلمة الذين كفروا » فقد كانت قبل الهجرة متغطرسة متكبرة ثم انحطت وذهب شأنها بعد الهجرة، لذلك جاءت مفعولاً به أول للفعل جعل: «وجعل كلمة الذين كفروا السفلى».

* * *

الخاتمة

رمضان شهر القرآن.. نسمعها ونرددها باستمرار، وعلينا أن نحقق شروطها ليصبح في حياتنا شهر القرآن حقّاً، فهل نجعل من رمضانَ هذا العام فرصة لمراجعة أنفسنا ومعرفة تقصيرنا ثم لمحاولة إصلاح شيء من ذلك؟ والإصلاح يسير وبالله التوفيق فهو يتمثل في التزام صحبة القرآن بحسن تلاوته والإصغاء إليه، وورود المنابع العذبة للغة القرآن: نستقي منها ما قد يطفئ غلة السنين التي قصّرنا فيها تجاه كتاب ربنا، ونزداد فهما بمفرداته وإعرابها، ونتعرف على لغته وقواعدها وأساليبها، ونقدم عذرنا لخالقنا، ووعدَنا بالجهد في سبيل تدبر كتابه؛ فنضبط نطقنا، ونقوم لساننا، ونتفيأ ظلال كلماته ومعانيه، ونتلمس مواضع إعجازه.

والله عزّ وجلّ يكفل لمن قدّم وعمل، وثابر واجتهد أن يوفقه ويتقبل عمله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩].

هذا وبالله التوفيق، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا المصطفى وعلى آله الطيبين وصحابته المنتجبين، صلاةً وسلاماً وبركة دائمين ما دامت السموات والأرض.

والحمد لله رب العالمين.

* * *

المراجع

١- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، جلال الدين السيوطي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة.

٢- التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي، دار عمار الأردن.

٣- جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، تحقيق محمود شاكر، تخريج أحمد شاكر، دار المعارف، مصر.

٤- سبب وضع علم العربية، جلال الدين السيوطي، مقال الافتتاحية في مجلة الأحمدية، في العدد الحادي والعشرين، ١٤٢٦ هـ، بقلم د. عبد الحكيم الأنيس.

٥- المعجزة الخالدة، محمد متولي الشعراوي.

٦- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات عبد الرحمن بن الأنباري، تحقيق إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن.

٧- نظرات في كتاب الله ، هشام عبد الرزاق الحمصي، دار الكلم الطيب .

* * *

الفهرس

الموضـــــوع	ص
افتتاحية	٥
القرآن واللسان العربي	٧
المقدمـــة	٩
كلمة ودمعة	١١
أين الدمعة مع القرآن ؟	١٣
أفكار وخواطر	١٤
البعد عن العربية الفصحى، وآثاره	١٦
العلاقة بين القرآن الكريم واللغة العربية	١٨
أوجه الحاجة إلى اللغة العربية	٢٢
اللغة العربية مفتاح التدبر	٢٦

من أقفال القلوب	٢٨
آيات ومعان	٢٩
الخاتمـــــة	٣٤
المراجــع	٣٦
الفهرس	٣٩

* * *